السنة: الثامنة المجلد: 08 العدد: 01 ص ص: 424- 443
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

الإثنوغرافيا الافتراضية وإشكاليات تحديد العينة في دراسة المجتمعات الافتراضية

Virtual ethnography and sample identification problems in the study of virtual communities

فتيحة كيحل*، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة3
fatiha.kihal@univ-constantine3.dz
عبد الهادي بوروبي، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة3
abdelhadi.bouroubi@univ-constantine3.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/30 تاريخ القبول: 2022/11/11

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مفهوم الإثنوغرافيا الافتراضية كأحد الأساليب البحثية المستجدة والتي يمكن اعتمادها كأداة بحث منهجي لدراسة المجتمعات الافتراضية في ظل المتغيرات الحالية والتطورات التقنية الهائلة التي تشهدها البيئة الاتصالية، وظهور التوجه الجديد نحو دراسة الفضاءات الرقمية بالاستناد إلى مفاهيم جديدة على غرار مفهوم "The Big Data research"،وذلك في محاولة لتبيان دورها الوظيفي على المستوى المنهجي بما يمكن الباحثين من تجاوز عديد العراقيل والصعوبات التي تحول دون إمكانية الوصول إلى تحديد العينة بشكل منهجي ودقيق، حيث سنحاول من خلال هاته الورقة البحثية استجلاء آليات توظيفها في الدراسات الاتصالية من خلال الإسقاط على دراسات سابقة في هذا السياق .

وقد توصلنا الى ضرورة تكييف وتطويع المقاربات المنهجية والأساليب البحثية المعروفة حتى تناسب دراسة الوسائط الجديدة، واعتماد الأسلوب

* المؤلف المراسل

الإثنوغرافي الافتراضي المناسب والأكثر ملائمة لطبيعة وبنية المجتمع الافتراضي المدروس، الى جانب ضرورة التحول في دراسة المجتمعات الافتراضية إلى مناهج أكثر وظيفية مثل اعتماد منهج تحليل الشبكات الاجتماعية وكذا البرمجيات الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الإثنوغرافيا، الإثنوغرافيا الافتراضية، المجتمعات الافتراضية، العينة، إشكالات تحديد العينة.

Abstract:

This paper aims to highlight the concept of virtual ethnography as one of the new research approaches that can be relied upon as a methodical research tool for the study of virtual communities in view of the great changes and developments in the communication environment as well as the emergence of a new paradigm that moves towards the study of spaces by relying on new concepts such as Big Data Research

To this end, we attempt to demonstrate digitisation and their functional role in the methodical sense that it helps researchers to overcome many obstacles and difficulties, researchers who try to delimit the research sample in a methodical and precise way. In turn, this article attempts to shed light on the mechanisms of its use in communication studies by looking back at previous studies on the subject.

We have reached the need to use and adapt methodological approaches and research methods to suit the study of new media such as the virtual ethnographic method which is the approraite method for the nature and structure of virtual society, in addition we have reached the need to use functional approaches when we study virtual communities; the method of analysis of social networks and digital software.

Keywords: Ethnography, Virtual Ethnography, Virtual Communities, Sample, Sample identification .

مقدمة:

يعيش الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية مرحلة بحثية مثيرة ومعقدة خاصة في ظل وسائط الإعلام الجديد التي أضحت تثير كثيرا من التساؤلات والإشكالات البحثية حول آليات التعامل مع البيانات الضخمة "The Big Data "وكذا طبيعية الأساليب التحليلية التي يمكن اعتمادها لاستكشاف الظواهر الاجتماعية والاتصالية والثقافية المستجدة والتي أفرزتها الثورة الرقمية، حيث يشهد الفضاء الإعلامي تغيرات وتحولات جذرية اتسمت بالوجود المتعاظم للتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، وهو ما تمخض عنه تحول غير مسبوق في أشكال التواصل الإنساني سواء من حيث طبيعة المساهمين فيها أو من حيث الأشكال التي تتخذها .

فقد برزت بشكل ملحوظ العديد من الممارسات المستجدة من خلال مجتمعات سيبيرانية تختلف في هيكلتها وبنيتها التقنية عن طبيعة المجتمعات التقليدية والبنى والأنساق الاجتماعية المعروفة، فتحولت بعد فترة وجيزة إلى ميدان خصب وشكلت حقلا معرفيا يستدعي الدراسة والبحث والحفر المعرفي الدقيق، لفهم طبيعتها وبنيتها ورصد الخصائص والسمات التي تحكمها، فالضبابية والغموض التي تعتري المجتمعات الافتراضية التي تشكلت بفعل ظهور الإعلام الجديد وتطبيقاته المختلفة، اجتذبت كثيرا من الباحثين والدارسين في الحقل الإعلامي لما تثيره من جدلية واسعة خاصة وأنها مجتمعات لا تزال في طور التشكل والنشوء ولم تتبلور بعد خصائصها النهائية سيما وأن السياقات التاريخية التي ظهرت وتبلورت فيها كانت متباينة ما يجعلها حقلا بحثيا حري بالدراسة والتمحيص.

إلا أن دراسة المجتمعات الافتراضية في الوقت ذاته لا تخلو من وجود عوائق وإشكالات منهجية وإبستمولوجية عديدة تحول دون وصول الباحثين إلى النتائج المطلوبة ومن جملة الإشكالات المنهجية التي كثيرا ما يصطدم

بها الباحثين هي صعوبة تحديد عينة البحث وأسلوب المعاينة الأنسب والأكثر ملائمة لطبيعة الدراسة ،كون المجتمعات الافتراضية متباينة بشكل كبير من حيث البنية التقنية وكذا من حيث الخصائص والسمات وكذا طبيعة الممارسات التي تتم عبرها، وفي هذا السياق تعد الإثنوغرافيا الافتراضية واحدة من الأساليب البحثية التي يمكن تطويعها وتوظيفها بشكل منهجي لتدليل كثير من الصعوبات التي تواجه الباحثين في دراستهم للمجتمعات الافتراضية، حيث سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق لكيفية توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية في الدراسات الاتصالية بما يسهم في تجاوز العراقيل المنهجية سيما ما تعلق منها بتحديد العينة وذلك في سياق الإشكالية التالية :

- ما هي الإثنوغرافيا الافتراضية؟ وكيف يمكن توظيفها منهجيا لتجاوز إشكالات تحديد العينة في الدراسات الاتصالية؟

أهداف الدراسة: نروم من خلال الدراسة الحالية إلى تحقيق جملة من الغايات تتلخص في:

- إجراء نوع من الحفر المعرفي لتحديد مفهوم الإثنوغرافيا والإثنوغرافيا الافتراضية.
- تبيان آليات تطويع وتكييف الإثنوغرافيا الافتراضية واعتمادها كأداة بحث منهجي في الدراسات الاتصالية.
- إبراز كيفية توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية لتجاوز إشكالات تحديد العينة في الدراسات الاتصالية.

حيث عمدنا إلى تقسيم دراستنا إلى أربعة عناصر أساسية تناولت الجوانب التالية:

الضبط المفاهيمي للإثنوغرافيا والإثنوغرافيا الافتراضية وتبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

تحديد مبادئ توظيف الإثنوغرافيا في دراسة المجتمعات الافتراضية.

- الوقوف على أنواع الإثنوغرافيا الافتراضية في مجال الدراسات الاتصالية.

- تبيان آليات توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية لتجاوز إشكاليات تحديد العينة في دراسة المجتمعات الافتراضية.

1.ضبط المفاهيم :

1.1.تعريف **الإثنوغرافيا** : إن الإثنوغرافيا هي خليط من المنهجيات التي تشترك في فرض أن مشاركة الشخص في الموضوع هي مفتاح فهم ثقافة أو بيئة اجتماعية معينة، كما تعد ملاحظة المشاركين هي العنصر الأكثر شيوعا في هذا الأسلوب البحثي ...كما يعد الوصف جوهر الإثنوغرافيا ومع ذلك فإن الوصف هو المعنى المكثف للحياة الاجتماعية من المنظور اليومي لأعضاء الجماعات التي يسعى الباحث لدراستها .(Bégin , 2014, p. p.62-63)

فالبحث الإثنوغرافي في رأي "تيلوين "هو منهج لبناء الحقائق، وإنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة، ويتطلب هذا المنهج من الباحث معايشة فعلية للميدان أو الحقل موضع الدراسة. وعليه يكون الباحث الإثنوغرافي من النوع المشاهد المشارك، ما يجعل البحث الإثنوغرافي واقعا بين حدود البحث الكيفي السوسيولوجي مراد الفهم والبحث الإجرائي الذي يستهدف الفهم والمشاركة في التغير نحو الأفضل . (معتوقي و شماخي ، 2018، صفحة 67).

أما علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون، ومنهم "أتكنسون"و"سميث" و"ديلامونت" فقد عرفوا المنهج الإثنوغرافي بأنه الطريقة التي يتم من خلالها وصف ثقافة مجتمع ما ، وهو المنهج الذي يستخدمه الباحث لملاحظة السلوك في بيئته ووضعه الطبيعي ،ويتوصل من خلال هذه الملاحظات إلى معنى لهذا السلوك . (معتوقي و شماخي ، صفحة 67)

2.1. تعريف الإثنوغرافيا الافتراضية : تستمد الإثنوغرافيا الافتراضية جذورها من علم الإثنوغرافيا التقليدية، والتي حظيت بشعبية كبيرة كأحد الأساليب النوعية منذ القرن التاسع عشر وذلك في العديد من

مجالات العلوم الاجتماعية والدراسات الثقافية والبحوث التسويقية . (Bégin , p. 62)

حيث يشير مصطلح الإثنوغرافيا الافتراضية في الأدبيات العلمية إلى نوع من عدم التجانس في التعاريف والأساليب وكذا نماذج البحوث حيث يمكن في هذا السياق تحديد نوعين من المقاربات في ضبط مفهوم الإثنوغرافيا الافتراضية ، حيث تحيلنا المقاربة الأولى على أن الإثنوغرافيا الافتراضية هي : - المجموعة الأولى من الأعمال التي يتم تسجيلها في ثقافة إثنوغرافية كلاسيكية وتشير بطريقة ما إلى الانضباط الأنثروبولوجي والحساسية لعلاقات المستخدمين، التفاعلات ،الطقوس والمعتقدات(Berry, 2012, p. 37) كما تشير المقاربة الثانية إلى أن مصطلح الإثنوغرافيا يراد به "أنه يتعين على البعض الحديث عن الملاحظة الطويلة الأمد والإصرار على المشاركة كشرط أساسي لا غنى عنه. (Berry, p. 37)

وتذكر (كرستين هين Christine Hine) أن" الإثنوغرافيا الافتراضية تفترض مسبقا تكييف الأساليب والتقنيات لإجراء دراسة معمقة للطرق التي يعطي بها الناس معنى لوجودهم في هذا السياق. وهناك ثلاثة خصائص تحدد ملامح هذا المنظور الأنثروبولوجي هي: تعدده، قدرته على التكيف وطبيعته النوعية".(Proulx & Rueff, 2018, p. 56)

وقد لعبت (كرستين هين Christine Hine) دورا رائدا في الارتقاء بالإثنوغرافيا الافتراضية إلى أسلوب منهجي محترم ويحظى بقبول متزايد من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية . غير أنها تعتقد أنها ليست طريقة جديدة تحل محل طريقة قديمة ،بل هي طريقة لإدخال الافتراضات التي تستند إليها الإثنوغرافيا و السمات المحددة للتكنولوجيات المعنية في دائرة التركيز ،كما يذهب عديد الباحثين في هذا السياق إلى عدم الاقتناع بأن هذا المنهج جديد بشكل أساسي ويعتبرون أنه ربما يكون في النهاية شكلا جديدا من أشكال الإثنوغرافيا التقليدية فقط . (Bégin , p. 63)

ويرى (بروتون Breton) و (برولكس Proulx) حول توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية في الدراسات الاتصالية " أن المسالة تتطلب إعطاء الوسائل اللازمة لملاحظة العمل الفعال لهذه التقنية في المجتمع قدر الإمكان وذلك من خلال الوصف الدقيق لاستخدامات الوسائط التقنية من طرف الأفراد ".

(Le Blanc. 2011, p. 43) إن الإثنوغرافيا الافتراضية هي تطوير جديد نسبيا في البحوث الكيفية فأسلوب الإثوغرافي التقليدي ينطوي على انغماس الباحثين في الوضع والظروف والحياة اليومية لمن يدرسونهم وتمدد الإثنوغرافيا الافتراضية هذه الأساليب إلى فضاء الأنترنت وتشمل طائفة من التقنيات المتنوعة. (خلالفة، 2021، صفحة 300).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أمران مشتركان بين الإثنوغرافيا التقليدية والإثنوغرافيا الافتراضية: فمن ناحية نجد أن كلتاهما تركزان على السلوكيات والمعاني التي تجلبها الجهات الفاعلة إلى هذه السلوكيات، ومن ناحية أخرى فإنهما تستندان إلى طريقة تحفيزية تهدف إلى بناء نظرية من البيانات السياقية. غير أ نهما تختلفان في نقطة واحدة وهي صعوبة الوصول إلى السياق في ظل الإثنوغرافيا الافتراضية. (Dumez , 2008, p. 40)

3.1.**تعريف المجتمعات الافتراضية** :

لقد نجح الفضاء الرمزي الذي شكلته الأنترنت في الجمع بين أفراد ينتمون إلى هويات مختلفة ويعد (هاورد رينجولد Haward Rhingold) من الأوائل الذين ساهموا في توجيه نظر العالم صوب دراسة المجتمعات الافتراضية، وقد جاء ذلك في كتابه الجماعات الافتراضية (Virtual Communities) والذي يؤكد فيه بأن هذه الجماعات هي تجمعات اجتماعية تشكلت من أماكن متفرقة في أنحاء العالم ، يتقاربون ويتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوتر والبريد الإلكتروني حيث يجمع بين هؤلاء الأفراد اهتمام مشترك ويحدث بينهم ما يحدث في عالم الواقع من تفاعلات ولكن ليس عن قرب ،وتتم هذه التفاعلات عن طريق

آلية اتصالية هي الأنترنت الذي بدوره ساهم في حركات التشكل الافتراضية . (بن كحيل ، 2015، صفحة 95).

ويعرّف محمد منير حجاب المجتمعات الافتراضية في معجمه الإعلامي بأنها" مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافيا ولكن الاتصال والتواصل بينهم يتم عبر الشبكات الإلكترونية وينتج بينهم نتيجة لذلك نوع من الإحساس بالولاء والمشاركة". (عبوب، 2018) ويذهب (سيرج برولكس Serge Proulx) إلى أن المجتمع الافتراضي هو ":مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار الذين تنشأ بينهم علاقة إنتماء إلى جماعة واحدة (Lien d'appartenance) ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة" . (عبوب، 2018)

في حين يعرفها (الفجلاوي Fejlaoui 2009) على أنّها" المجموعات الاجتماعية الناشئة من خلال شبكة الأنترنت حيث يكون للمستخدمين القدرة على التعرف وخلق نقاشات لتشكيل وعي جمعي، وعلاقات شخصية في الفضاء الافتراضي " (عبوب، 2018) .

كما يعرف (Per-Olof Ågren)و (Anna Croon) المجتمعات الافتراضية على أنها" وقبل كل شيء كيان اجتماعي حيث هناك عدد من الناس الذين يتصلون ببعضهم البعض باستخدام تكنولوجيا محددة ". (Ågren & Croon, p. 1) و إلى غاية الآن لا توجد تعاريف دقيقة لهذه الهياكل الاجتماعية الناشئة في الفضاء الافتراضي ولهذا كان من الصعب بطبيعة الحال التوصل إلى تعاريف جيدة عندما تتغير التكنولوجيا المستخدمة وتتطور في كل الأوقات ... فدراسة المجتمعات الافتراضية حتى الآن تعد مغامرة استكشافية إلى حد كبير .(Ågren & Croon, p. 2)

2.مبادئ توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية في دراسة المجتمعات الافتراضية :

اقترحت الباحثة (كرستين هين Christine Hine) عشرة مبادئ أساسية تقوم عليها الإثنوغرافيا الافتراضية يمكن لنا إجمالها في ما يلي :

إن الوجود المستمر للباحث الإثنوغرافي في الميدان الافتراضي المدروس إلى جانب مشاركته المكثفة في الحياة اليومية لمستخدمي الفضاء الافتراضي ينتج المعرفة الافتراضية. (Le Blanc, p. 43)

والمراد به في هذا السياق أن معايشة الباحث للمجتمع الافتراضي المراد دراسته والمشاركة في أشكال التفاعل التي تتم عبره سواء بالتعليق أو النشر أو مشاركة الاهتمامات ،تفتح باب الحوار والنقاش حول عديد الموضوعات التي يمكن للباحث الإثنوغرافي الاستفادة منها كأسلوب للملاحظة الافتراضية بالمشاركة، وتوظيفها إجرائيا في تحديد وضبط العينة والمفردات البحثية المراد بلوغها ،فالبنية التقنية لبعض المجتمعات الافتراضية على غرار مجتمعات التشبيك الاجتماعي (الشبكات الاجتماعية) تتطلب التركيز على أفراد معينين داخل الناء الشبكي والذين تكون عملية دراسة أشكال التفاعلات بدونهم قاصرة وغير وظيفية ،وهو ما يطلق عليهم في الأدبيات العلمية تسمية الأفراد الجسور " Les individus Ponts" .

يمكن ملاحظة الأنترنت وتحليله بإعتبارها موقعا ثقافيا كما لو كان قطعة ثقافية أثرية.

ينبغي النظر إلى الإثنوغرافيا الافتراضية على أنها متنقلة بدل التركيز على مساحة محددة وموضعية على الشبكة، وهذا لا ينفي أن يقوم الباحث الإثنوغرافي ببناء ملاحظاته على مكان (مجتمع افتراضي) أو أكثر محدد مسبقا.

يجب أن تركز الدراسة الإثنوغرافية الافتراضية على التدفق وعلى الترابط بدل التركيز على الأماكن والحدود.(Le Blanc, pp. 43-44) .

فخصوصية الإثنوغرافيا الافتراضية كما يوحي اسمها، هي كون الميدان لا يقع في الواقع الحقيقي حيث يتم التفاعل عادة وجها لوجه، وإنما في عالم افتراضي وعلى شبكة الأنترنت. غير أنه من المهم ملاحظة أن

الواقع الافتراضي كما حددته (انجلا كورا غارسيا Angela Cora Garcia) يشير إلى أن الحقيقة ليست منفصلة عن الجوانب الأخرى لعمل الإنسان وتجربته ،بل هي جزء منها ، ولذلك يجب أن يسعى علماء الأنثروبولوجيا إلى تحديد مجال لوضع أبحاثهم على أساس طبيعة موضوع البحث بدلا من استبعاد ميدان ما بشكل تعسفي أو سابق لأوانه . (Cora Garcia , 2009, p. 54)

كما يذكر الباحث (ويتل Wittel) في هذا السياق أنه بات من الضروري الانتقال من إثنوغرافيا الميدان إلى إثنوغرافيا الشبكات فالشبكة هي بنية مفتوحة ،قادرة على التوسع تقريبا دون حدود كما أنها دينامية للغاية . والأهم من ذلك أن الشبكة لا تتألف من مجموعة من العقد فحسب، بل وأيضا من مجموعة من الروابط بين العقد، وعلى هذا النحو فإن الشبكات تحتوي على قدر من الحركة والتدفق بقدر ما تحتوي على أماكن إقامة ومحليات ومن الضروري أن تتضمن دراسة النظام الإثنوغرافي للشبكات فحصا لعقود الشبكة وفحصا للروابط والتدفقات. (Wittel, 2000)

فالعشوائية إذن في تحديد العينة داخل المجتمعات الشبكية يمكن أن تكون غير مفيدة منهجيا وتجعل الباحث يحيد عن موضوع البحث ولا يصل إلى الأهداف المرجوة إذ يتوجب عليه التمحيص الدقيق والملاحظة الفاحصة لتفاعلات المستخدمين عبر المجتمعات الشبكية لتحصيل الأفراد الذين يشكلون روابط بين المستخدمين الآخرين أي الأفراد الجسور، وقد بات ذلك يسيرا بالنظر إلى كون بعض المواقع الشبكية مثل موقع فايسبوك أضحت تقدم لهؤلاء المستخدمين والمتفاعلين بشكل كبير شارات تبرز متابعتهم وتفاعلهم الدائم مع مضامين الصفحات من خلال التعليق والنشر وإبداء الإعجاب وغيرها من أشكال التفاعل.

إن عدم وجود حدود للعالم الافتراضي يجعل من الصعب على الباحث الإثنوغرافي تحديد متى يتوقف فوضع حد للاستكشاف الإثنوغرافي يصبح قرارا واقعيا مرتبطا بقيود الباحث.(Le Blanc, p. 44)

كون دراسة مجتمع افتراضي ما ترتبطا ارتباطا وثيقا بطبيعة الموضوع المدروس وخصوصياته وكذا طبيعة التساؤلات أو الفرضيات التي عمد الباحث إلى بنائها وبالتالي فإن مرحلة التوقف هاته يمكن التعبير عنها منهجيا بدرجة التشبع المعلوماتي التي يحصلها الباحث من خلال الملاحظات الإثنوغرافية ، وفي هذا السياق يمكن القول بأن دراسة المجتمعات الافتراضية التي تعد مجتمعات غير محدود ة يكون فيها الحد الأمثل للعينة بلوغ الباحث درجة التشبع المعلوماتي وتحصيله البيانات المطلوبة للإجابة على تساؤلات الدراسة ،مع مراعاة خصوصية الشبكة وبنيتها ومكوناتها .

الإثنوغرافيا الافتراضية هي جزء من أنشطة يومية أخرى سواء بالنسبة للباحث الإثنوغرافي أو بالنسبة للمستخدمين وبالتالي فان الانغماس الزمني لا يتم إلى على فترات متقطعة.

فدراسة التجليات المضمونية لما ينتجه المستخدمين عبر مواقع التشبيك الاجتماعي لا تكون فيها المتابعة الآنية وظيفية من الناحية المنهجية نظرا لضخامة البيانات والمضامين التي تنتج بسرعة هائلة إلى جانب عدم إمكانية متابعة الباحث لها بدقة، فالأفضل في هذا السياق متابعتها عبر مراحل زمنية متقطعة تمنح الباحث الفهم العميق وتدوين ملاحظاته بنوع من التمحيص وتحصيل بيانات متنوعة ومفيدة حيث يمكن في هذا الإطار اعتماد أسلوب العينة الدائرية المنتظمة كمثال في دراسة مضامين المجتمعات الشبكية.

الإثنوغرافيا الافتراضية هي بالضرورة جزئية ومن المستحيل التوصل إلى وصف شامل لأن فكرة الثقافة القائمة والتي يمكن عزلها قد تم التخلص

منها. يعد اشتراك الباحث الإثنوغرافي في الأداة التكنولوجية مصدرا للمعرفة يستند إلى البعد الانعكاسي لتجربته مع الوسط.(Le Blanc, p. 44)

جميع أشكال التفاعل صحيحة من الناحية الإثنوغرافية وليس مجرد التفاعلات التي تكون وجها لوجه.

الإثنوغرافيا الافتراضية كافية لاستكشاف العلاقات الوسيطة عبر الأنترنت حتى وإن لم تكن الطريقة الحقيقية وفقا للمرجعيات المنهجية فهي صورة إثنوغرافية تكيفية تتكيف مع أهدافها. (Le Blanc p. 44)

3 .أنواع الإثنوغرافيا الافتراضية :

يمكن الاستناد في دراسة المجتمعات الافتراضية إلى أربعة أنواع من الدراسات الإثنوغرافية للتفاعل على الخط يمكن لنا إجمالها في:

النوع الأول: دراسة التفاعل فقط دون مشاركة وهي الدراسات التي تستلزم عادة فحص المدونات ومجموعات النقاش وقوائم البريد الإلكتروني وما إلى ذلك، دون أي مشاركة أو تدخل من جانب الباحث (الباحثين)، عادة يأخذ شكل الترصد وإجراء تحليل دون أن يدرك مؤلفوا المواد وجود الباحث. (خلالفة، صفحة 305)

النوع الثاني: دراسة التفاعل على الخط فقط مع بعض المشاركة وهي الدراسات التي تتطلب عادة فحص المدونات، مجموعات النقاش، قوائم البريد الإلكتروني وغيرها لكن مع بعض المشاركة أو التدخل من جانب الباحث (الباحثين). هذا الأخير ليس سلبيا، ويتدخل بدلا من ذلك (علنا أو سرا) في المنشورات والمناقشات الجارية عبر الأنترنت. (خلالفة، صفحة 305)

النوع الثالث: دراسة التفاعل على الخط بالإضافة إلى المقابلات على الخط أو خارج الخط هذا النوع مثل النوع الثاني، ولكن بالإضافة إلى ذلك يقابل الباحث بعض الأشخاص المشاركين في التفاعل على الخط ، والمقابلات قد تكون على الخط أو خارج الخط .

النوع الرابع: ويشمل دراسة التفاعل على الخط بالإضافة إلى طرق البحث خارج الخط (وكذا المقابلات على الخط وخارج الخط) هذا النوع يشبه النوع الثالث إلا أن مشاركة الباحث تكون أكثر فاعلية في العالم خارج الخط لأولئك الذين تجري دراستهم مثل حضور التجمعات وكذلك المقابلات (التي قد تكون على الخط أو خارج الخط). (خلالفة، الصفحات 305 -306)

وفي هذا السياق قدمت الباحثتان (باتريسيا دارينتا Patricia Derentea) و (جينيفر موران كروس Jennifer L Moren Cross) سنة 2005 دراسة أثنوغرافية اعتمدت أداة الملاحظة بالمشاركة الافتراضية استهدفت جماعة من الأمهات التي كانت تتقاسم نفس الاهتمامات والوضع على شبكة الأنترنت، وكن يتبادلن النصائح والمعلومات حول الحمل والولادة والرضاعة ،وقد كانت الباحثة جينيفر موران كروس إحدى المشاركات في هذه المجموعة ،ما مكنها من ملاحظة الأخريات بالمشاركة في المجموعة . (حيزير، 2018، صفحة 282)

4. توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية لتجاوز إشكاليات تحديد العينة

أفرزت التطورات التكنولوجية أنماطا مستجدة من المواقع، الوسائط والتطبيقات الرقمية التي فتحت بدورها أفاق بحثية جديدة وأتاحت للباحثين الاحتكاك بحقل معرفي وافد يشوبه كثير من الغموض والضبابية ويثير كثيرا من الجدلية في الأوساط العلمية والأكاديمية ومن الآفاق الجديدة التي فتحتها الأنترنت:

- وجود أنواع جديدة من المضامين التي يمكن تحليلها، مثل تحليل نوعيات جديدة من الإعلانات المرتبطة بالوسائل الرقمية، كالإعلانات الراسية والمنتديات والمواقع الشخصية والبريد الإلكتروني ومواقع الحملات السياسية والتغطية الإخبارية المباشرة وغيرها من المضامين. (الدبيسي، 2017، صفحة 56)
- إمكانية البحث بسرعة وبكفاءة عالية عن أي موضوع بواسطة محركات البحث المختلفة.
- وجود المضمون على الأنترنت مما وفر على الباحثين ضرورة الاحتفاظ بنسخ ورقية.

- أتاحت بعض مواقع الصحف الإلكترونية إمكانية الرجوع إلى أرشيفها السابق المنسق والمنظم حسب أيام صدورها، والاطلاع على المقالات والأخبار المنشورة مما أتاح للباحثين حرية تحديد العينات وتسهيل الرجوع إليها.
- وفرت الأنترنت الجهد والوقت والإمكانيات الفنية في اختيار عينات التحليل لمضامين وسائل الإعلام، ويسرت إمكانية حفظها واسترجاعها والبحث في مضمونها آليا. (الدبيسي، صفحة 56)

أما التحديات التي خلقتها الأنترنت للباحثين فتتلخص في:

- صعوبة اختيار عينة التحليل، ففي كثير من الحالات لا يوجد إطار محدد يمكن سحب العينة منه فمثلا إذا أراد الباحث تحليل المواقع الفنية فإنه ربما لا يجد قائمة تشمل جميع المواقع الفنية.

فعدد الصفحات والمواقع على الشبكة في تزايد مستمر وفي تدفق ديناميكي، فمع إنشاء صفحات جديدة في كل لحظة تتوقف صفحات ومواقع إما تلقائيا أو يتم سحبها ،حيث لا يمكن تحليل كل الصفحات الموجودة لدا يتوجب على الباحث أن يستخرج عينة ممثلة ومع ذلك ولأن العدد الكلي للمواقع غير معروف، فإن أخذ عينات عشوائية من الشبكة بأكملها هو أمر مستحيل وغير وارد حيث يحاول بعض الباحثين عبر الواب إلى استخدام عينة كرة الثلج بالاعتماد على الوصلات والروابط التشعبية من موقع إلى آخر،غير أنهم يفتقدون إلى إحصائيات دقيقة تحدد المواقع غير المرتبطة بالمواقع الأخرى كما أن الفهارس الإلكترونية التي تأخذ في بعض الأحيان بإعتبارها بيانات أساسية لغرض تحديد عينة عشوائية لا تعطي دائما عينات كاملة في حين أن قوائم الوصلات ذات الصلة بالمواضيع المدروسة قد تكون نقاط انطلاق مفيدة في تحديد العينات بصورة هادفة .(Herring, 2004, p. 52)

- الإضافات والتعديلات التي تحدث للمواقع المستمرة ، وبعض المواقع يكون لها أكثر من نسخة version ،بعضها يركز على النصوص لمكتوبة والبعض الآخر يركز على المواد المصورة والرسوم المتحركة ، ولهذا ينبغي على الباحثين التأكد أن جميع المرمزين يتعرضون للمضمون نفسه ،لأن هذه الاختلافات لها تأثير سلبي على مستوى الثبات بين المرمزين . (الدبيسي، صفحة 56)

ولا تتوقف التحديات البحثية والمنهجية التي فرضتها الشبكة العنكبوتية عند حدود تحليل المضمون بل تتجاوزها إلى عديد التداعيات الأخرى حتى في دراسات تفاعلات المستخدمين داخل المجتمعات الافتراضية خاصة ما تعلق منها بتحديد العينة .

ففي هذا السياق "لا يتناسب أخذ أفراد العينة بطريقة عشوائية مع تحليل الشبكات الاجتماعية .ففكرة التمثيلية représentativité لا تنطبق على الشبكة . والواقع أن جميع الأفراد ليس لديهم نفس الموقع .والبعض هم أكثر مركزية من غيرهم .وهناك أفراد يحتلون ما يطلق عليه" الأفراد الجسور " Les individus ponts " الذين يربطون المجموعات الفرعية فيما بينها .وعدم اختيار هذا النوع من الأفراد يمكن أن يشوّه بشكل كبير تصور وشكل الشبكة" . (بلقاسم، 2018)

حيث يحتاج الباحث لتجاوز هذه الإشكالات المنهجية إلى استخدام الإثنوغرافيا الافتراضية كأسلوب بحثي يتطلب الملاحظة الفاحصة والدقيقة لطبيعة المجتمعات الافتراضية المراد دراستها و محاولة رصد خصائصها وطبيعة بنيتها التقنية والتصميمة، وكذا طبيعة تفاعلات المستخدمين التي تتم عبرها حتى يتمكن لاحقا من تحديد العينة بشكل دقيق يحقق مبدأ التمثيلية الأمر الذي يجعل النتائج لاحقا قابلة للتعميم .

ولعلها الفكرة التي أصرت عليها "كرستين هاين" في البحث الإثنوغرافي الافتراضي والذي تصفه بأنه نمط من البحث النوعي المتعدد والمتكيف في آن واحد حيث تقر بضرورة تطويع الإثنوغرافيا الافتراضية حتى تتلاءم مع طبيعة المجتمعات الافتراضية المتغيرة ، فهي عوالم لا تزال في طور التشكل والنشوء بحيث لم تتبلور بعد خصائصها النهائية كما أنها تتسم بالضبابية والغموض على المستوى المفاهيمي فهي هلامية وغير مستقرة مفاهيميا وبالتالي يكون من العصي على الباحثين دراستها وفق المقاربات المنهجية التقليدية حيث تمنح الإثنوغرافيا الافتراضية للباحثين إمكانية الرصد ،الوصف وكذا الشرح والتفسير لكثير من الظواهر الاتصالية التي تتم عبرها بما فيها تسهيل عملية تحديد العينة .

وكتوضيح لآليات توظيف الإثنوغرافيا الافتراضية في دراسة المجتمعات الافتراضية نعرض في ما يلي:

الدراسة التي قام بها (Patrice Bégin) بعنوان (الصحافة والمجتمع ممارسات وخطابات صحافة المواطن)، وهي عبارة عن رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة الكيباك "مونريال" بكندا نوقشت سنة 2014، وقد تناولت هذه الدراسة صحافة المواطن وذلك من وجهة نظر اتصالية وكذا اجتماعية حيث ركزت بشكل أساسي على طبيعة العلاقة القائمة بين الصحافة والمجتمع وذلك في ظل الأنترنت والواب الاجتماعي. (كيحل، 2021 ، صفحة 35)

حيث اعتمد الباحث على المقاربة الكيفية وذلك بالارتكاز على أسلوبين بحثيين هما الإثنوغرافيا الافتراضية وكذا تحليل المضمون لعينة من مواقع صحافة المواطن الأكثر انتشارا على الصعيد الأوروبي.

مستخدما الإثنوغرافيا الافتراضية في تحديد العينة وذلك لفترة زمنية كافية مكنته من انتقاء ستة مواقع خاصة بصحافة المواطن والتي رأى بأنها كافية للتحليل والإجابة على إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، وقد تطلب ذلك المعرفة الجيدة بمجتمع البحث المدروس حيث عمد الباحث إلى الاستناد إلى دليل موقع دليل صحافة المواطن "news me back" الإلكتروني ويقدم هذا الدليل قائمة كاملة بمشاريع صحافة المواطن ذات المحتوى الجيد والتي يمكن العثور عليها على شبكة الأنترنت بشكل عام، حيث قام بزيارة 83 موقعا اختار منها 17 موقعا اعتبرها الأكثر ملائمة للبحث وعمد إلى مراقبتها وتقييمها وفقا لمعايير محددة ونظرا لاعتماد الباحث على الإثنوغرافيا الافتراضية فقد عمد إلى استخدام ثلاث أنواع من الملاحظات الميدانية وهي على النحو الآتي:

الملاحظات الوصفية: وتضمنت بيانات البحث، وصف الحقائق والأحداث وتسجيل المحادثات وغيرها.

الملاحظات المنهجية: وهي عبارة عن محاولات أو عمليات مخططة، أحداث ذات صلة باختيار المواقع التي أخضعها الباحث للتحليل وكذا المشاكل التي واجهها والحلول المتوخاة.

الملاحظات النظرية: وحاول الباحث من خلالها البحث عن المعاني، تماسك الملاحظات التفسيرات والاستدلالات والاستنتاجات. وذلك لتحديد إيجابيات

وسلبيات اختيار العينة، وفي نهاية المطاف قرر اختيار ستة مواقع وإخضاعها للتحليل وهي على النحو التالي:

- AgoraVox, www.agoravox.fr
- Allvoices, www.allvoices.com
- Bllottr, www.blottr.com
- Cent papiers, www.centpapiers.com
- CNN iReport, www.ireport.cnn.com
- Digital journal, www.digitaljournal.com

وكنتاج للمراحل السابقة تمكن الباحث من خلال البحث الإثنوغرافي الذي أجراه على مجتمع البحث من تحصيل معلومات وبيانات مكنته لاحقا من بناء شبكة التحليل المناسبة لدراسة المواقع عينة التحليل، وذلك باستخدام برنامج التحليل الاحصائي Nvino9 ،حيث استخدم الباحث هذا البرنامج لتسهيل عملية جمع وتنظيم وتحليل البيانات ،أين تم اعتماده لتصنيف وترميز المحتوى خلال مرحلة التحليل كأسلوب مكمل لشبكة التحليل، وقد ساعد هذا البرنامج الباحث أثناء القياس الكمي والمعالجة الإحصائية للبيانات وبالتالي السرعة في بلوغ النتائج.

ويمكن لنا في هذا السياق التأكيد على أهمية البحث الإثنوغرافي في دراسة المجتمعات الافتراضية التي باتت من أكثر الموضوعات إثارة للهواجس البحثية لدى الدارسين، كونها توفر للباحثين معلومات وبيانات وافية عن طبيعة البنية التقنية والتصميمية للمجتمع الافتراضي المدروس ،وكذا طبيعة التفاعلات التي تتم داخلة وكذا امتداداته ومدى صلته وقربه بمجتمعات افتراضية أخرى داخل البناء الشبكي ما يمكن الباحث لاحقا من تحديد العينة بطريقة أكثر دقة واستنادا لمعطيات أكثر علمية وتمحيص سواء تعلق الامر بتحديد عينة التحليل في دراسات المضمون أو تحديد المفردات البشرية الأكثر محورية والتي من الضروري ان تشملها العينة والمراد بهم ما يصطلح على تسميته بالأفراد الجسور بعيدا عن العينات العشوائية التي تغيب عنها التمثيلية في أغلب الأحيان .

خاتمة:

إن التطورات التكنولوجية والتقنية المتسارعة جعلت الفضاء الإلكتروني يتنامى بسرعة فائقة ما يحد من إمكانية القيام بمشاريع بحثية تتعمق في دراسة أشكال وأنماط الاستخدام والتفاعل التي تتم عبر المجتمعات الافتراضية، التي لا تزال إلى غاية الساعة عوالم في طور التشكل والنشوء حيث لم تتشكل خصائصها وسماتها النهائية بعد، ما يجعل عملية دراستها ورصد الظواهر الاتصالية المرتبطة بها أمرا صعبا للغاية حيث تتطلب من الدارسين والباحثين محاولة تكييف وتطويع المقاربات المنهجية والأساليب البحثية المعروفة حتى تناسب الوسائط الجديدة ، وتمكنهم من تلافي عديد العراقيل والإشكالات المنهجية التي يواجهونها ، إذ تعد الإثنوغرافيا الافتراضية في هذا السياق واحدة من الأدوات المنهجية المهمة التي يمكن الاستفادة منها بشكل أساسي في التأسيس لحقل معرفي جديد يمكن الإستفادة منه في بحوث الإعلام والاتصال خاصة ما تعلق بدراسة المجتمعات الافتراضية على الشبكة وهذا لا يتأتى إلى من خلال :

- اختيار الأسلوب الإثنوغرافي الافتراضي الأنسب والأكثر ملائمة لطبيعة وبنية المجتمع الافتراضي المدروس.
- مشاركة الباحث وتواجده في الميدان الافتراضي واعتماده الملاحظة بالمشاركة لتحصيل المعلومات والبيانات المطلوبة.
- تجاوز النظرة القاصرة في دراسة المجتمعات الافتراضية والتركيز على جوانب الترابط والتدفق داخل بنية المجتمع الافتراضي.
- ضرورة التحول في دراسة أشكال تفاعل المستخدمين عبر المجتمعات الافتراضية إلى مناهج أكثر وظيفية مثل اعتماد منهج تحليل الشبكات الاجتماعية والبرمجيات الرقمية التي بإمكانها رصد الخوارزميات الشبكية و توفير بيانات تفصيلية تفيد الباحث على غرار برنامج Facebook insights لدراسة تفاعلات مستخدمي الفايسبوك ومضامينه ،وكذا أداة Nodexl لتحصيل معطيات تخص توزيع الوسم (الهاشتاغ) عبر المنصات الرقمية وكذا العديد من

البرمجيات الرقمية الأخرى المتوفرة في هذا السياق كبرنامج Simply, Measured أداة Twtrland , أداة TweetLevel وغيرها .

- اعتماد الإثنوغرافيا الافتراضية في دراسة المجتمعات الشبكية لما لهذا الأسلوب البحثي من أهمية في فهم طبيعة وبنية المجتمعات المراد دراستها ورصد تفاعلات مستخدميها بشكل دقيق، يمكن الباحث من تلافي عديد الصعوبات والإشكالات المنهجية سيما ما تعلق منها بتحديد العينة.

قائمة المراجع :

الكتب :

الدبيسي،علي عبد الكريم .(2017). دراسات إعلامية في تحليل المضمون، الأردن : دار المسيرة .

الأطروحات الجامعية :

بن كحيل ، شهرزاد (2015). الممارسات اللغوية في موقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك دراسة اثنوغرافية لعينة من الشباب مستخدمي الفايسوك، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر .

كيحل ،فتيحة (2021). أخلاقيات المهنة الصحفية عبر مضامين صحافة المواطن - دراسة وصفية تحليلية لعينة من الشبكات الإخبارية الناشطة عبر موقع الفايس بوك ،كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري، جامعة قسنطينة 03 ،الجزائر .

المقالات العليمة :

بلقاسم، حبيب (2019). تحليل الشبكات الاجتماعية المنهج المهمش في البحوث العربية . مجلة الدراسات البينية المحكمة في علوم الإعلام والاتصال ،العدد 2 .

حيزير، رزيقة (2018). المنهج الاثنوغرافي واستخداماته في علوم الإعلام والاتصال. مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، العدد 12،الصفحات 269-284 .

خلالفة، زينب (2021). الإثنوغرافيا من العالم الواقعي إلى الافتراضي. مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 1 ، العدد8 ، الصفحات 311- 294 .

عبوب، محمد أمين (2019). المجتمعات الافتراضية أنماطها ومشكلاتها. مجلة الدراسات البينية المحكمة في علوم الإعلام والاتصال، العدد 2.

معتوقي، جمال و شماخي، موسى إسماعيل (2018). منهجية البحث الإثنوغرافي في ميدان العلوم الاجتماعية. مجلة أنثروبولوجيا. العدد 7، الصفحات 65-74 .

المراجع باللغة الأجنبية :

الكتب :

Proulx, Serge, & Rueff, Julien , (2018). Actualité des méthodes de recherche en sciences sociales sur les pratiques informationnelles , Canada ,Centre D'etudes sur les Medias.

المقالات العلمية :

Berry, Vincent , (2012) , Ethnographie sur Internet : rendre compte du virtuel ,Les Sciences de l'éducation Pour l'Ère nouvelle,vol 45 ,Numéro 4, pp 35-58.
Wittel, Aandreas , (2000), Ethnography on the Move: From Field to Net to Internet, forum qualitative social research ,vol1, N 1.
Cora Garcia , A , (2009), Ethnographic Approaches to the Internet and Computer Mediated, Journal of Contemporary Ethnography,vol 38,N 1 ,pp 84-52.
Dumez , Hervé , (2008), L'ethnographie virtuelle : reconstituer le contexte des interactions en ligne. Le Libellio d'AEGIS, vol 4 ,N1, pp 43-39.

المداخلات العلمية :

Herring, Susan .C , (2004), Content Analysis for New Media: Rethinking the Paradigm,New Research for New Media Innovative Research Methodologies Symposium Working Papers ,USA .

الأطروحات الجامعية :

Le Blanc, Daniel , (2011) , Etude Ethnographique virtuelle de l'experience des Harsha interagissant avec l'organisme de santé réso sur Facebook ,Université du Québec ,Canada .
Bégin , Patrice , (2014) , Journalisme et Socité pratiques et discours du Journalisme Citoyen , Université du Québec ,Canada .

المواقع الإلكترونية :

Ågren,Per olof, Croon, Anna, Virtual communities –why and how are they studied ,www.researchgate.net consulter le 31/10/ 2021 .